

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره العلمية والدعوية

الجزء الثالث

الأربعاء والخميس
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١



(9)

جهود الشيخ السعدي في التربية
د. عبد الهادي بن صالح الغامدي

الرعاية

مصرف الإنماء
alinma bank



جهود الشيخ السعدي في التربية

(ورقة عمل)

د. عبد الهادي بن صالح بن أحمد الغامدي
كلية التربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد، فقد جاءت هذه الورقة لتسليط الضوء على الجهود التربوية والتعليمية للشيخ العلامة أبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي التميمي، المعروف بابن سعدي، المولود في بلدة عنيزة في القصيم في الثاني عشر من شهر محرم عام (١٣٠٧هـ)، والمتوفى في مسقط رأسه ليلة الخميس الثالثة والعشرين من شهر جمادى الآخرة عام (١٣٧٦هـ) - يرحمه الله -.

منهج البحث:

استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي الاستنباطي، لمناسبته لمعالجة موضوعها، من خلال البحث في مؤلفات الشيخ السعدي - يرحمه الله تعالى - وما أفرزته الأدبيات النظرية من حياته وجهوده من نتائج وتوصيات ورؤى في هذا المجال، لاستنباط الأفكار حول جهود الشيخ في مجال التربية، ومنطلقاته الفكرية، وطرق التعليم والتربية عنده، وأنواع المعارف والعلوم التربوية في جهوده.

أهداف البحث:

يسعى البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ١- الوقوف على المنطلقات الفكرية لجهود الشيخ السعدي.
- ٢- بيان طرق التربية والتعليم في جهود الشيخ السعدي.
- ٣- الإشارة إلى أنواع العلوم والمعارف التربوية في جهود الشيخ السعدي.
- ٤- توضيح الجهود العلمية للتربية والتعليم عند الشيخ السعدي.

المطلب الأول: المنطلقات الفكرية لجهود الشيخ السعدي.

ما من شريعة من الشرائع السماوية جاءت بمبادئ وقيم وأحكام شاملة تصلح لحياة البشر كما جاءت به الشريعة الإسلامية، فقد شاءت حكمة الله تعالى وتقديره أن يختتم الرسالات السماوية بشريعة لم تغفل جانباً من جوانب الحياة إلا ووضعت له المنهج والطريق، ولا مشكلة إلا ووضعت لها الحل، ولا سؤالاً وقع في العقول إلا أجابت عنه، فكانت بحق الرسالة العالمية الخالدة التي لا يصح الإيمان بغيرها. ولقد جاء التصور الإسلامي للتربية الإسلامية موافقاً للفطرة البشرية الطبيعية، مراعيًا حاجات الروح ومطالب الجسد، وموازنًا بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، ومهذبًا لغرائز الإنسان ونوازعه.

ومن هنا فقد اهتم علماء المسلمين على مرّ العصور بهذا التصور الإسلامي للتربية، سواء من حيث التصور الإسلامي للحياة، أو من حيث التصور الإسلامي للمعرفة ووسائل اكتسابها، وأنواعها، وخصائصها، مثلما اهتموا بالتطبيقات التربوية للتصور الإسلامي للتربية؛ أهدافاً، وتعليماً، ومنهجاً، وطرق تعليم، وغيرها من الجوانب. وقد كان للشيخ السعدي أثر واضح في استجلاء هذا التصور، من خلال مؤلفاته، وخطبه، وهو ما يحاول هذا المطلب الإشارة إلى بعضه.

أولاً: التصور الإسلامي عن الحياة في فكر الشيخ السعدي:

يؤكد التصور الإسلامي على أن هذه الحياة بدأت بإرادة الله تعالى، ونشأت بقدرته سبحانه، مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، ولقد اتسعت الحياة لتشمل عوالم مختلفة من الأحياء والموجودات التي خلقها الله تعالى^(١)، قال تعالى ﴿وَمِنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية، لأوصاف محمد عبده، الدمام، مكتبة المتنبّي، ١٤٢٨هـ، ص ٥٧.

وَلَا ظَلِمَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
 ﴿{الأنعام: ٣٨}﴾

ويشير الشيخ السعدي - يرحمه الله تعالى - بقوله: «فإنه تعالى هو الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيره، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه، وهو المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون مدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكيمة، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية^(١)».

ويقوم التصور الإسلامي عن الحياة على مجموعة من المبادئ المقررة، ومنها:
 ١/ أن علاقة الإنسان بالحياة حسب التصور الإسلامي تقوم على الابتلاء، والحياة هي الزمن المقرر لهذا الاختبار، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾﴾ {الملك: ٢}، وتتعدد مظاهر هذا الابتلاء؛ فهناك الابتلاء بالخير، والابتلاء بالشر، وكلها من مظاهر التدين التي يجب أن تتضمنها التربية الإسلامية^(٢).

فالله سبحانه وتعالى قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم، لاختبار أوصوبهم وأخلصهم عملاً، ذلك أن الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس ونبذ أمر الله

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ، الجزء ٦، ص ٣٦٤.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، لماجد عرسان الكيلاني، مكة المكرمة - جدة، مكتبة المنارة - دار المنارة، ١٩٨٧م، ص ١٥٠.

فله شر الجزاء^(١). كما أن الله تعالى أوجد عباده في الدنيا، وابتلاهم بالخير والشر، والغنى والفقر، والعز والذل، والحياة والموت، فتنة منه تعالى، ليبلوهم أيهم يفتن عند مواقع الفتن ومن ينجو، فيجازيهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر^(٢). وللتربية دور مهم في مواجهة ما يتبلي به الإنسان في حياته، والابتلاء هو تربية بالخبرة، هدفها فهم الخير وتذوق جماله، وفهم الشر والنفور من قبحه، ومن خلال هذا الفهم وهذا التذوق يتحقق إدراك عظمة النعم الإلهية على الإنسان، ثم يكون من ثمرات هذا الابتلاء الترقى العقلي والنفسي والاجتماعي، فالإنسان حين يتبلى بموقف معين ثم يتبع الأساليب الصحيحة لمعالجته تتكون لديه خبرة صحيحة بطبيعة المواقف الزمنية والأشياء الكونية، ويعرف الأساليب الصحيحة لمعالجتها وثمرتها كل أسلوب صحيح^(٣).

٢ / أكدت العقيدة الإسلامية بنظرها إلى الحياة على أنها معبر للآخرة، يجب أن يحيها الإنسان كما أراد الله له، تحقيقاً للغاية التي خلقه وجعله في الأرض بسببها، وهي العبادة^(٤)، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٨﴾ {الذاريات: ٥٦}.

يقول السعدي في تفسير هذه الآية: هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٧، ص ٤٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٢٢٨.

(٣) أصول التربية الإسلامية والقضايا المعاصرة، لصفاء محمد مجاهد، الرياض، دار النشر الدولي، ١٤٣١م، ص ١٠٧.

(٤) المنهج المدرسي المعاصر، لجودة أحمد سعادة، وعبد الله محمد إبراهيم، عمان، دار الفكر ناشرون، ٢٠١٤م، ص ٨٦.

إليه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك متوقف على معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة بربه كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم^(١).
وتعني التربية الإسلامية بإعداد الإنسان ليقوم بوظيفته كخليفة؛ فهو كائن مستخلف من الله لأداء رسالة معينة على الأرض، ومعنى هذا أنه قوة ديناميكية وسط معطيات البيئة أو الطبيعة والزمن، وسلوكه سلوك هادف، يسعى لتحقيق أغراضه وأهدافه التي حددها الإسلام؛ إذ إن الخلافة تقوم على جانبين، وتم بحركتين الأولى: هي حركة الذات الإنسانية في مجال تحقيق العبودية، والثانية: هي حركة الإنسان في مجال السيادة، وكلا الحركتين سلوك هادف^(٢).

٣/ أكدت العقيدة الإسلامية على أن الحياة ليست لعباً ولهواً وزينة وتفاهراً وتكاثراً في الأموال والأولاد فقط، وليست عملاً وكدّاً وكدحاً أو نشاطاً وإنتاجاً واستثماراً أو تسابقاً وتمائزاً فقط، أو تناحراً وتناطحاً وقتلاً وتدميراً، ولكن الحياة عمل واستثمار طاقات الإنسان وموارد الطبيعة كإحدى مفردات الكون، تعاون وتنافس وتكامل، استهلاك وإنتاج بنظام يتفق مع قوانين الكون وحقائقه والمعايير والحكم الإلهية. كل ذلك من أجل تربية الإنسان لعمارة الأرض في الحياة الدنيا ومن ثم إعداده للحياة الآخرة دار القرار. والإنسان بطبيعته مجبول على الحياة في مجتمع، هذا المجتمع تجمع بين أفراده علاقات وصلات اجتماعية، ويحكمه نظام عام يوجه ويضبط سلوكه، ويحدد هدفه، وله رؤية توجه فكره وتبرر غايته، هذا النظام يفرض أحكاماً وقوانين وتشريعات تختلف باختلاف الزمان والمكان

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٧، ص ١٨١.

(٢) أصول التربية الإسلامية والقضايا المعاصرة، مرجع سابق، ص ١٠١.

ومرحلة التطور الاجتماعي والثقافي^(١).

يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ {الحديد: ٢٠}: يخبر الله تعالى عن حقيقة الدنيا، وما هي عليه، ويبين غاياتها، وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات عمرهم بلهو قلوبهم، وغفلتهم عن ذكر الله، وعمامهم من الوعد والوعيد، تراهم قد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، بخلاف أهل اليقظة، وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد شغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي^(٢).

ثانياً: التصور الإسلامي عن الإنسان في فكر الشيخ السعدي،

من المبادئ التي يقوم عليها التصور الإسلامي عن الإنسان ما يأتي:

١ / الإيمان بأن الإنسان هو أفضل ما في الكون من عناصر وموجودات ومخلوقات، ميزه الله تعالى عن غيره من المخلوقات بكثير من الخصائص والمميزات، فاستحق بذلك تكريمه وتفضيله على سائر المخلوقات، كما استحق بذلك أن يكون المحور الأساسي الذي تركز عليه الحياة بكل ما فيها من حركة ونشاط، وأن يكون موضع الرسالات السماوية ودعوات الإصلاح على مر العصور^(٣).

(١) المناهج الدراسية: التحديات المعاصرة وفرص النجاح، لرفعت بهجات محمد، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م، ص ١١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٧، ص ٢٩٦.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية، لعمر التومي الشيباني، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٨م، ص ٧٢.

يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) {الإسراء: ٧٠}: وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعمة الظاهرة والباطنة، وحملهم على الركاب من الإبل والبغال والحمير والمراكب البرية، وحملهم في السفن والمراكب، ورزقهم من المآكل والمشارب، والملابس والمناكح، فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به، ويسره لهم غاية التيسير، وفضلهم بما خصهم به من المناقب، وفضلهم به من الفضائل، التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات، أفلا يقومون بشكر من أولى النعم، ودفع النقم، ولا تحجبهم النعم عن المنعم^(١).

٢ / الإيمان بأن تكريم الإنسان وأفضليته على غيره من المخلوقات واستخلافه في الأرض لتعميرها وتحميله أمانة التكليف وحرية ومسؤولية الاختيار والمحافظة على القيم لا ترجع إلى جنسه أو لونه أو جماله أو شكله أو ماله أو درجته، أو نوع عمله أو طبقة الاجتماعية، وإنما يرجع إلى إيمانه وتقواه، وخلقه، وعقله وعمله، واستعداده لكسب المعارف المختلفة، وقدرته على ضبط غرائزه ودوافعه وكبح جماحه^(٢).

وزود الله سبحانه وتعالى الإنسان بما يعينه على تحقيق الاستخلاف في الأرض، والإنسان مزود بخصائص الخلافة، وأولى هذه الخصائص الاستعداد للمعرفة النامية الممتدة، وهو مجهز لاستقبال المؤثرات الكونية والانفعال بها والاستجابة لها، ومن مجموع انفعالاته واستجاباته يتألف نشاطه الحركي للتعمير

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٤، ص ٣٠١.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧٦.

والتغيير والتعديل والتحليل والتركيب والتطوير في مادة هذا الكون وطاقاته^(١).

٣/ الإيمان بأن طبيعة الإنسان ذات أبعاد ثلاثة: الجسم والعقل والروح، بينها توافق وانسجام، ويتكون منها شخصية الإنسان، وبها يكون تقدمه وسعادته^(٢).

تدعو التربية الإسلامية إلى العناية بالتربية الجسمية، فقد أدرك العلماء والمسلمون أن الجسم المريض لا يساعد العقل على الفهم، وأوصى بعضهم بالترويح والراحة في طلب العلم محذراً الطالب من مواصلة الدرس والجهد دون أن يتخلل ذلك راحة ورياضة، فهذا الجهد المتواصل ستكون نتيجته الفشل، كما أن على الطالب أن يواصل الدرس ما نشط عقله، فإذا أحس في عقله فتوراً فليتوقف، وليلجأ إلى الترويح^(٣).

وقد اهتم الإسلام بجسد الإنسان - وهو الذي يعب عن الجانب الحيوي المادي في الإنسان، بل هو الأداة التي عن طريقها تترجم الذات الإنسانية الأعمال - وحافظ عليها من إصابته بالأمراض، وأمر المسلم بالاعتناء به ورعايته لسببين أساسيين: الأول: أن الجسد ليس مقصوداً به الجانب المحسوس، بل يشمل أيضاً الطاقة الحيوية الناتجة عنه. والثاني: أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الجسد والنفس والعقل والروح؛ فهناك علاقة متبادلة في التأثير بينها، ولا انفصال بينها^(٤).

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالروح محاولة السمو بالنفس الإنسانية وبالبدن

(١) الفكر التربوي عند ابن تيمية، لماجد عرسان الكيلاني، المدينة المنورة، دار التراث للنشر، ١٤٠٧هـ، ص ٨٩.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٣) التربية الإسلامية، لمحمد أحمد جاد صبح، بيروت، دار الجيل للنشر، ١٤١٣هـ، ص ٤٠٥.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلوي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ، ص ٢٩٧.

والعبادة والرفقة الصالحة^(١) وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ {الكهف: ٢٨}.

فقد أمر الله تعالى نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - وغيره أسوته في الأوامر والنواهي أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيين، الذين يدعون ربهم أول النهار وآخره، ويريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، وفي هذه الآية الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم، وإن كانوا فقراء، فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى، كما أمر بعدم مجاوزتهم بغية الحياة الدنيا، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للناظر، وتسحر القلب^(٢).

ويمكن تنمية العقل عن طريق تنمية القدرة على التخيل وتدريب الذاكرة؛ لأن الإنسان يرتبط بالماضي، والتدريب على الملاحظة الموضوعية والتحليل والفهم، واستخراج الحقائق، وتجميعها وتبويبها، والوصول إلى نتائج سليمة، أي تسعى التربية إلى تدريب الإنسان على تعقل كل شيء قابل لإعمال العقل؛ وذلك حتى يصل في كل أحواله إلى معرفة الله وقدرته وأحكامه، وعدم الوقوف عند حدود التقليد الذي يقف بالعقل جامداً لا يستطيع أن يتكيف مع الحاضر^(٣).

(١) اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، لمحمد إسماعيل علي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩١م، ص ١٩٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٢٩.

(٣) مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، لمصطفى محمد متولي، الرياض: مكتبة الخريجي، ٢٠٠٤م، ص ٢٨٥.

ثالثاً: التصور الإسلامي عن الكون في فكر الشيخ السعدي:

من المبادئ التي يقوم عليها التصور الإسلامي عن الكون ما يأتي:

١/ يؤمن المربي المسلم بأن التربية- كعملية نمو واكتساب للخبرة وتغير مرغوب فيه في سلوك الفرد والجماعة- تتحقق عن طريق تفاعل الفرد مع الكائنات والأشياء المحيطة به والتي تمثل جانباً من جوانب الكون، فتأثر تربية البشر بالكون وما فيه كما تتأثر بعوامل البيئة الاجتماعية، ودليل ذلك اختلاف طبائع الناس وأخلاقهم وعاداتهم بحسب البيئة التي ينتمون لها، فسكان المناطق الساحلية لهم طبائعهم وأخلاقهم، وكذلك أبناء المناطق الصحراوية، وكذلك اختلاف طبائع المجتمعات الصناعية عن المجتمعات الزراعية^(١).

٢/ أن المراد بالكون أو العالم أو الطبيعة هو كل ما عدا الله تعالى، ويشمل الكون الأفلاك والسموات والأراضي، والكواكب وغيرها. ولكن بعض الفلاسفة المسلمين يحصرونها في أربعة أصول عامة، هي: الروح، والمادة، والزمان، والمكان. والروح أقواها؛ لأنها أصل لجميع الكائنات الحية، والمادة أضعفها وهي أصل لكل الكائنات المادية. والإنسان أو النوع البشري هو أحد عناصر الكون، لأن تكوينه مركب من جميع عناصر الكون، وهو بذلك عالم في ذاته. ولهذا منحه الله تعالى مكانة خاصة (خليفة). والكون يشمل كذلك جميع النظم والقوانين التي تسير عليها الطبيعة ككل، والتي يسير عليها كل عنصر من عناصرها أو كل جزء من أجزائها^(٢).

٣/ الماديون يرون أن المادة أصل كل شيء، ويحاولون تفسير الحياة والعقل والشعور والخير والشر وبقية مظاهر الوجود في ضوء المادة التي آمنوا بها،

(١) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٩.

حتى الإنسان حاولوا إخضاع سلوكه لقوانينهم المادية. والروحيون يقولون إن الوجود روحي في طبيعته، وليس فيه غير الروح والعقل، ويرون أن المادة بكل صورها ليست إلا مظهراً من مظاهر الروح. وبالمقابل فإن التربية الإسلامية المبنية على العقيدة تؤمن بالمادة والروح، وبالتالي فالعالم نوعان: مادي محسوس يمكن إخضاعه للملاحظة والتجربة الحسية، وروح يتمثل في الخير والشر والجمال والمثل العليا، والإسلام يطلب من الإنسان إلى الاهتمام بالتنوعين، لأن الحياة الكاملة لا تتحقق إلا بالمادة والروح. فالنظرة الإسلامية نظرة معتدلة^(١).

٦/ هناك علاقة ثابتة بين الأسباب ومسبباتها، يمكن للإنسان ملاحظتها في كثير من أحداث الكون، كالعلاقة بين الأكل والشبع، والعلاقة بين وجود الولد ووجود والديه، فكل هذا يخضع بإرادة الله تعالى لهذه العلاقة، والمسلم المعتدل في اعتقاده يؤمن بمبدأ أو قانون السببية بما يتوافق مع العقيدة الإسلامية (إرادة الله تعالى)^(٢). وقد أكد الشيخ السعدي - يرحمه الله تعالى - هذا المبدأ؛ فهو يرى أن الانخداع بالوقوف مع المخلوقات دون خالقها، وبالآثار عن مؤثرها، وبالأسباب عن سببها، وبالوسائل عن مقاصدها من أعظم آفات العلم، وأن العجز عن إدراك هذه العلاقة السببية بين الأمور الكونية ومسبباتها سبب كبير للانحراف الذي وقع فيه الملاحدة ومن تبعهم^(٣).

(١) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥١.

(٣) الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ، الجزء ١٣، ص ٣٠١.

٧/ أن الطبيعة ليست عدواً للإنسان، وليست عقبة في سبيل تقدمه، وهذا بعكس ما يظن بعض العلماء والفلاسفة من الأرض منفي للبشر، بل العكس، فيأمر الإسلام بالنظر للطبيعة على أنها خير صديق للإنسان، وأداة لتقدمه، وخدمته^(١)، قال تعالى ﴿ وَسَخَّرْنَا مَاءَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآبِتِينَ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ١٢).

٨/ أن العالم كله محدث غير قديم، أصوله وفروعه وعناصره وأجسامه وأفلاكه وسماواته وأرضه وحيوانه ونباته وإنسانه وجماده، كله مخلوق مستحدث^(٢).

٩/ أن التسليم بحدوث هذا العالم يقتضي التسليم بوجود محدث له يراعه ويحفظه، ويحركه ويصرف أمره ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ {البقرة: ٢٥٥}، ولا شك أن هذا المحدث أو الموجد للكون هو غير الكون، ومتميز في وجوده على وجود أي شيء محدث أو مخلوق أو موجود (فالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ليس قبله شيء، وليس بعده شيء)^(٣).

١٠/ أن الله تعالى يرجع إليه وحده خلق هذا الكون، ويتفرد بالألوهية، وبكل خصائص الألوهية، المتصف بصفات الكمال والمنزه عن النقص، ومن صفات الكمال: الوجود، والقدم، والبقاء، والوحدانية، والقدرة، والعلم، والحياة^(٤).

(١) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٤.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٠.

المطلب الثاني: طرق التربية والتعليم في جهود الشيخ السعدي.

اهتمت التربية الإسلامية بطرق التربية والتعليم، فقد حفلت الشواهد القرآنية والنبوية بما يشير إلى هذا الاهتمام، من خلال سيرته - صلى الله عليه وسلم - وسير الخلفاء الراشدين من بعده، والمربين المسلمين كذلك، من أجل تعليم الناس وإعدادهم لخدمة أنفسهم ومجتمعهم ووطنهم وأمتهم والمجتمع الإنساني عموماً. وقد اهتم الشيخ السعدي - يرحمه الله تعالى - بطرق التدريس، فهو يرى أن للتعليم طرقاً كثيرة منها ما يكون في المدارس على اختلاف أنواعها، ومنها ما يكون للتعلم في أوقات مرتبة، وعلى طرائق مختلفة، كما يرى أن المتعلمين يتفاوتون في العلم بحسب ما يسر الله لهم من طرق التعليم النافعة، بحسب قرائحهم وأذهانهم، أملاً في أن يكونوا معلمين بعدما كانوا متعلمين^(١).

كما كان الشيخ - يرحمه الله - يحب التنوع في أساليب التعليم وشحذ أذهان طلابه للوصول إلى أحكام المسائل العلمية، فكان - رحمه الله - لا يتقيد بأسلوب أو طريقة واحدة، بل كان يعدد الأساليب على غير عادة أهل نجد ذلك الوقت^(٢).

ومن هذه الأساليب والطرق ما يأتي:

١/ طريقة الحفظ والاستظهار: فقد كانت منتشرة في المنهج الإسلامي، حيث كان تدريس القرآن الكريم والحديث الشريف يتم بطريقة التلقين، وعلى الرغم من (١) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ، الجزء ١٣، ص ٤٣٨.

(٢) مواقف من حياة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي، لمساعد عبد الله السعدي، ط ٢، الرياض: دار الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ، ص ٧٢.

اهتمام علماء المسلمين بالحفظ إلا أنهم لم يهتموا العناية بالتفكير بما حفظوه، والعمل على فهمه وتطبيقه وتحليله والحكم عليه^(١).

٢/ طريقة المناقشة: فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستخدمها مع أصحابه وعامة المسلمين، عندما كان يعلمهم أمور دينهم، أو يرد على استفساراتهم، أو حتى عندما يناقشون أمورهم الحياتية، وقد استخدمها المربون المسلمون فيما بعد^(٢).
وقد أكد الشيخ السعدي - يرحمه الله - هذه الطريقة من خلال إلقاء العلوم النافعة في النوادي الكبار والصغار، وفي المجموع التي يجتمع فيها أهل العلم بالعوام، وهو يرى أن تكون هذه الطريقة بطرح أمور تخف على الناس ولا يستثقلونها، وبشرط أن تكون قلوبهم مصغية وأذهانهم صافية، فالعالم البصير لا بد له من أن يجد موضعاً ومحللاً لمناقشة بعض المسائل، فبيان القليل خير من الترك بالكلية، والعالم الحاذق يتمكن من أن يجري مع العوام في أحاديثهم العادية، ويلقي ما يشاء الله من المسائل التي تنفعهم في أثناء تلك الأحاديث، والناصح لنفسه ولغيره يحصل في هذا خيراً كثيراً^(٣).

٣/ شاع تطبيق طريقة الحوار عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يعتمد على طرح الأسئلة للبحث عن فكرة جديدة أو يعالج قضية معينة، بعيداً عن التسلط الفكري، فكثيراً ما كان - صلى الله عليه وسلم - يسأل: «أندرون؟»، و«هل أدلكم على؟»^(٤).

(١) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٢) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٣) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، ص ٤٣٩.

(٤) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٣.

ويشير السعدي - يرحمه الله تعالى - إلى هذه الطريقة التعليمية في قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح، وذكر أن لها آداباً، ومنها التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه بلطف، فإن موسى أخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة (هل أتبعك؟) وأنت هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعون أنهم يتعاونون هم وإياه، بل ربما ظن أحدهم أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جداً؛ فالذل للمعلم وإظهار الحاجة إلى تعليمه من أنفع شيء للمتعلم، ومنها تواضع الفاضل للمتعلم، ممن دونه؛ فإن موسى بلا شك أفضل من الخضر، ومنها تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كانوا دونه في العلم بدرجات كثيرة؛ فإن موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عند موسى، فلهذا حرص على التعلم منه^(١).

٤ / شاع تطبيق القادة والعلماء المسلمون منذ النبي - صلى الله عليه وسلم - لأسلوب المحاضرة أو الخطابة، وبخاصة قبل المعارك أو المواقف التعليمية السياسية^(٢).

وقد أكد الشيخ السعدي - يرحمه الله - هذه الطريقة، باعتبارها وسيلة لإيصال العلم النافع، من خلال إلقاء العلوم في المساجد، مع تأكيده على أمور جوهرية في هذه الطريقة، ومنها:

أ/ أن يلقي للمتعلمين ما يكون أقرب في الفهم لأذهان المتعلمين.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٦٧.

(٢) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٢.

ب/ أن يلقي للمتعلمين أهم الأشياء وأنفعها.

ج/ أن تكون عبارات مناسبة لأذهان المتعلمين والسامعين^(١).

٥/ أشارت نصوص العقيدة الإسلامية إلى طريقة القصة باعتبارها طريقة من طرق التدريس، والقرآن الكريم يحفل بالقصص، وربما القصة الواحدة بأساليب مختلفة، كقصة سيدنا موسى عليه السلام، وغيرها^(٢). وحياتة الشيخ -يرحمه الله- حافلة بالقصص التي تؤكد هذه الطريقة.

٦/ كما استخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- والمربون المسلمون من بعده ما يعرف هذه الأيام بطريقة التعلم الذاتي والتعاوني، فقد كان يتلو ما أنزل إلهي من ربه على أصحابه، ثم يطلب من كُتّاب الوحي تلاوتها، ويأمر بتكرار التلاوة، فيعلم بعضهم بعضاً^(٣).

وكان الشيخ -يرحمه الله- يتبع طريقة التعليم التعاوني، من خلال تقسيم الطلاب إلى فرق ومجموعات عمل، كل فرقة تبحث في مسألة علمية واحدة، وكان لكل مجموعة رئيس تُسمى به، وكان رحمه الله يجمع إجاباتهم في بحث واحد، وقد اطلعت على نموذج من هذه البحوث العملية بعنوان «تذكرة أولي الألباب في ذكر السؤال والجواب مرتب في الفقه على الأبواب من أجوبة أصحابنا الأنجاب» فهو يحتوي على إجابات الطلاب واستقصائهم لبعض المسائل الفقهية وأدلتها على ترتيب قراءتهم في مختصر المقنع. ويكون للشيخ دور في إكمال البحث، فينتصر

(١) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، ص ٤٣٨.

(٢) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٣) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٤.

لرأي الفريق الأكثر صواباً لكي يكون هذا تذكرة لهم ولغيرهم^(١).

٧/ أكدت العقيدة الإسلامية من خلال نصوصها على طريقة الممارسة أو التعلم بالعمل، فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلم المسلمين أمور دينهم بطريقة عملية، كالصلاة والحج وغيرها من العبادات^(٢).

وقد كان الشيخ رحمه الله يطبق هذه الطريقة؛ فقد كان يساعد الطلاب على تطبيق ما تعلموه، وإعطائهم فرصة ممارسة دور المعلم والداعية، فكان يرسل بعض طلابه النجباء ليؤموا الناس في مساجدهم خاصة في صلاة التراويح والتهجد، وكانوا يقرؤون على المصلين ما يحفظونه من دروس شيخهم ابن سعدي. وقد تطلب جماعة المسجد تلميذاً بعينه لما يتميز به من جمال الصوت وملكة الحفظ كما ذكر ذلك الشيخ عبد الله البسام رحمه الله في تاريخ علماء نجد. ومن طرق تربيته لطلابه أنه كان يُكَلِّف مَنْ يرى فيه القدرة العلمية والمهارة المتميزة في تدريس وتعليم صغار الطلبة^(٣).

٨/ ومن طرائق التدريس التي جاءت بها العقيدة وأكدت عليها ما يسمى بطريقة استخدام الحوادث الجارية والمواقف في مجال التعليم، فقد نزلت سور من القرآن الكريم توضح مواقف أو حوادث وقعت أيام الدعوة الإسلامية، كغزوة حُنين، والخندق (الأحزاب)، وفتح مكة، وبني النضير وقریضة، وغيرها^(٤).
وقد أكد الشيخ السعدي - رحمه الله - هذه الطريقة، باعتبارها وسيلة لإيصال

(١) مواقف من حياة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٧٢.

(٢) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٣) مواقف من حياة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٧٤.

(٤) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٥.

العلم النافع، مؤكداً على أن يلقي للمتعلمين في كل موسم ومناسبة ما يليق ويتعلق به، والسبب في ذلك كما يرى أن فهم الأشياء الحاضرة أقرب وأشوق للأذهان من أن تكون بغير وقتها^(١).

٩/ طريقة القدوة أو الاقتداء بالصالحين من طرائق التعليم التي استخدمت لتحقيق أهداف العقيدة الإسلامية، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «خذوا عني مناسككم»، و«صلوا كما رأيتموني أصلي». وقد نهت الآيات القرآنية عن القول الذي يخالف العمل، وأن الله تعالى يبغضه^(٢).

وقد كان الشيخ السعدي - يرحمه الله - قدوة في ذلك قولاً وعملاً، فهو يؤكد على أن المعلم قدوة لغيره من طلبة العلم وغيرهم من عامة الناس، مؤكداً على أن يتحلى العالم بالأخلاق؛ لأن العالم مكلف بالتزام الخلق الحسن أكثر من غيره، وعليه الالتزام أضعاف ما على غيره، وقد صنف العلماء في ذلك إلى ثلاثة مراتب: مرتبة الكمال، ومرتبة الإنصاف، ومرتبة الظلم، وهذه المراتب تميز أحوال أهل العلم ومقاديرهم، ودرجاتهم^(٣).

وقد ركزت التربية الإسلامية على أهمية طرق التعليم، والشواهد من مصادر التشريع الإسلامي كثيرة؛ فقد بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود لولاية أحد الأمصار، وأمره بأن يعاملهم بالحجة والإقناع، لما في ذلك من أثر في إثارة مستمعيه لجذب انتباههم، وكان عبد الله بن مسعود يجتمع بهم مرة في الأسبوع لمناقشة أمور دينهم، ولما طلبوا منه زيادة عدد الدروس قال: حتى

(١) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، ص ٤٣٨.

(٢) المنهج المدرسي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٣) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، ص ٤٣٧.

لا تملوا. ويتمثل تأثير العقيدة الإسلامية في طرق التدريس في ضرورة أن تتناسب طريقة التدريس مع المستوى العقلي للمتعلم، وقدراته الذهنية، وأن تعمل على إشباع حاجاته ورغباته، وجذب انتباهه^(١).

وقد أكد الشيخ السعدي - يرحمه الله - هذا المبدأ بقوله: «ومن ذلك النصائح الخاصة بالأشخاص باختلاف رتبهم، من رآه مقصراً في واجب من واجبات الله وحقوق الخلق نصحه سرّاً، وعلمه الواجب وكيفية سلوكه، والفوائد والثمرات المترتبة على فعله، ومن رآه متجرئاً على محرم متعمداً أو جاهلاً نصحه ووعظه، ويّسن له الوجهة التي يجب عليه سلوكها في ترك المحرم، وما لتاركه من الخير والثواب، وما على فاعله من الوزر والعقاب، ولا يحقر صغيراً ولا كبيراً، ولا شريفاً ولا وضيعاً، فكم حصل بهذه الطريقة من تعليم للجاهلين، وإرشاد للغافلين^(٢).

كما إن هناك مجموعة من المبادئ في طرائق التعليم المقررة في التصور الإسلامي للتربية وطرق التعليم، ومن هذه المبادئ: التدرج من السهل إلى الصعب. والاعتماد على الأمثلة الحسية في البداية، ثم الانتقال من المحسوس أو المعلوم إلى المجرد. والبدء بالجزئيات ثم الكلّيات حسب الطريقة الاستقرائية. وعدم الخلط على المتعلم علمين معاً قبل التمكن من واحد، وأن لا يطيل على المتعلم في العلم الواحد^(٣).

وقد أكد الشيخ السعدي - يرحمه الله - هذا المبدأ، باعتباره وسيلة لإيصال العلم النافع، فيرى أنه ينبغي أن يفهم المتعلمون تدخيل الصور والتفاصيل

(١) المناهج الدراسية: التحديات المعاصرة وفرص النجاح، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، ص ٤٣٩.

(٣) الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، لتعليم حبيب جعيني، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م،

الموجودة التي يعرفونها ويعرفون وقوعها، فتبين لهم موضعها ومحلها من العلم، وهل هي محبوبة للشارع أو مكروهة؟ وما الطريق إلى تحصيل المحبوب وإلى دفع المكروه أو تخفيفه. كما ينبغي أن تطبق الأمور الواقعية على القواعد الشرعية حتى يتم فهمها؛ فإن أكثر السامعين إذا ألقيت عليهم المسائل الشرعية مجردة عن بيان الأمور الواقعة لا يدرون عن دخولها أو خروجها^(١).

وقد ذكر- يرحمه الله تعالى- في قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح من الفوائد التي تؤكد المبدأ السابق في تحصيل العلم، فذكر أن فيها من الفوائد والقواعد شيء كثير، فمنها: فضيلة العلم والرحلة في طلبه، وأنه من أهم الأمور، فإن موسى- عليه السلام- رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك، ومنها البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل^(٢).

المطلب الثالث: أنواع العلوم والمعارف التربوية في جهود الشيخ السعدي.

صنف علماء التربية أنواع العلوم والمعارف التي تشملها التربية والتعليم إلى خمسة أنواع هي: العلوم اللدنية، والعلوم الوثقى، والعلوم المنقولة أو المكتسبة، والمعرفة العقلية، والمعرفة الحسية.

١/ العلوم اللدنية: ويكشفها الله تعالى لأنبيائه ومن يصطفاهم من خلقه^(٣)، قال

(١) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، ص ٤٣٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٦٠.

(٣) الفكر التربوي: مدارسه واتجاهات تطوره، لمصطفى زيادة، ومحمد العجمي، وبدر العتيبي، وحنان الجهني، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ١٤٣٤هـ، ص ١٣٤.

تعالى: ﴿وَعَلَّمَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿الكهف: ٦٥﴾.

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: أعطاه الله رحمة خاصة، بها زاد علمه، وحسن عمله، وعلمه من عنده تعالى علماً، وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً في العلوم الإيمانية والأصولية، لأنه من أولي العزم من الرسل، الذين فضلهم الله على سائر الخلق بالعلم والعمل وغير ذلك^(١).

ويشير السعدي - يرحمه الله تعالى - إلى هذا النوع من العلوم بأنه علم لدني، يهبه الله لمن يمنّ عليه من عباده^(٢). ومثاله أن موسى - عليه السلام - من أولي العزم من الرسل، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عند موسى، فلهذا حرص على التعلم منه^(٣).

٢ / العلوم الوثقى: وتصدر عن كبار العلماء والمختصين، ومن بينها: العلوم الموجودة في دوائر المعارف، وأمّهات الكتب، والرسائل العلمية، والمطبوعات المتخصصة، فهذه جميعاً مصادر موثوق بها، ويعتمد عليها في كثير من العلوم والمعارف^(٤).

ويشير السعدي - يرحمه الله تعالى - إلى هذا النوع من العلوم بأنه من العلوم المكتسبة، فأشار إلى أن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: ومنها العلم المكتسب

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٥٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٦٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٦٧.

(٤) الفكر التربوي: مدارسه واتجاهات تطوره، ص ١٣٤.

الذي يدركه العبد بجده واجتهاده^(١).

٣/ العلوم المنقولة عن السلف: وهي تمثل خلاصة تجارب السلف الصالح وخبرتهم، لذا ينبغي على المسلمين معرفة ما قاله السلف والنسج على منوالهم، ومواصلة حياتنا من حيث ما انتهوا إليه مع التثبت في ذلك^(٢).

وقد تلقى الشيخ العلم والمعرفة على عدد غير قليل من العلماء الأفاضل الذين أخذوا العلم من مصادر ومشارب مختلفة ومتعددة ومن أقطار وبلدان واسعة، في العلوم المختلفة^(٣).

٤/ المعرفة العقلية: وهي المكتسبة عن طريق العقل والتأمل الفكري وما يرتبط به من تحليل وتركيب وقياس وربط واستنتاج، والمعرفة العقلية معرفة مجردة تتناول عالم العلاقات والمعاني، وهي معرفة لها حدودها، ولقد حض الإسلام على استخدام العقل وإعماله في الأمور الحياتية^(٤).

٥/ المعرفة الحسية: ومصدرها الحواس، وهي تساعد الفرد على إدراك ما يحيط به من ظواهر طبيعية^(٥).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٦٦.

(٢) الفكر التربوي: مدارسه واتجاهات تطوره، ص ١٣٤.

(٣) مواقف من حياة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٧١.

(٤) الفكر التربوي: مدارسه واتجاهات تطوره، ص ١٣٥.

(٥) الفكر التربوي: مدارسه واتجاهات تطوره، ص ١٣٥.

المطلب الرابع: الجهود العلمية للتربية والتعليم عند الشيخ السعدي.

اهتم الشيخ السعدي بالتربية والتعليم في الجانبين النظري والتطبيقي، ومن هذه الجهود ما يأتي:

أولاً: بيان فضل العلم وأهله:

يشير السعدي - يرحمه الله تعالى - في تفسيره إلى فضل العلم وأهله، وأن للعلم فضيلة من وجوه؛ منها: أن الله تعرف لملائكته بعلمه وحكمته، ومنها: أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم، وأنه أفضل صفة تكون في العبد، ومنها: أن الله أمرهم بالسجود لآدم إكراماً له؛ لما بان فضل علمه، ومنها: أن الامتحان للغير إذا عجزوا عما امتحنوا به، ثم عرفه صاحب الفضيلة فهو أكمل مما عرفه ابتداءً^(١).

ثانياً: التأكيد على واجبات أهل العلم وحقوقهم:

فقد وضع واجبات لأهل العلم فيما بينهم، وعقد لذلك فصلاً في كتابه «الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة»، وهو الفصل الثامن عشر، أسماه «في واجبات أهل العلم فيما بينهم وفيما يتعلق بالناس»، فمن واجبات أهل العلم من العلماء الكبار ومن دونهم، والطلبة فيما بينهم: أن يحب كل منهم للآخر ما يحبه لنفسه، ويرى - يرحمه الله - أن هذا الواجب في حق أهل العلم أعظم، لما تميزوا به وخصهم الله به من العلم. وأن يدين كل منهم لله تعالى ويتقرب إليه بمحبته جميع أهل العلم والدين، فهو من أكبر الطاعات، وهو اقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم. وتعليم العلم للناس؛ لأن ذلك مدعاة لحب طلبة العلم والناس للعالم^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ١، ص ٧٤.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، ص ٤٣٥.

كما حذر- يرحمه الله تعالى- من إشاعة عشرات العلماء، وعدّه من أشنع المفاسد، كما إن إهدار محاسنهم أشنع وأقبح، داعياً إلى التماس الأعدار لهم، وافتراض وجود تأويل لها، واعتبارها من الاجتهاد، وهذا الخصيصة هي ما تميز أهل العلم عن أهل الحقد والحسد، فإن أهل العلم الناصحين يقصدون التعاون على البر والتقوى، وإعانة بعضهم بعضاً، وستر عورات المسلمين، والذب عن أعراضهم، وهذا من أفضل القربات، مؤكداً في الوقت نفسه على النظر إلى المحاسن وعدم إهدارها في حال لم يوجد عذر لعشرات العلماء، إنصافاً لهم. كما يرى- يرحمه الله- أن في إشاعة عشرات أهل العلم إشاعة للفرقة والاختلاف، ودعوة للبغي والتباغض، وتمزيق الأمة شيعاً وأحزاباً^(١).

وأما أخلاق العالم فهي أوجب كما يرى، وهي من أعظم المهمات، ابتداء من القيام بالحقوق، وتبيين العلم وعدم كتمانها، ونصح الجاهل، والموعظة الحسنة، وإظهار دين الله تعالى، امثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ {آل عمران: ١٨٧}. وأمر بالتبليغ والتذكير، وذم من يكتمون العلم^(٢).

ويفسر الشيخ السعدي الآية السابقة بقوله: والميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتُمهم ذلك، ويخجل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كان من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل، فأما الموفقون فقاموا بذلك أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق،

(١) الرياض الناضرة، للشيخ السعدي، ص ٤٣٧.

(٢) الرياض الناضرة، للشيخ السعدي، ص ٤٣٨.

وخوفاً من إثم الكتمان^(١).

ثالثاً: بيان آفات العلم:

أكد الشيخ السعدي - يرحمه الله تعالى - على أن للعلم آفاتٍ وقواطع، ومنها:
١/ الانخداع بالوقوف مع المخلوقات دون خالقها، وبالأثار عن مؤثرها، وبالأسباب عن سببها، وبالوسائل عن مقاصدها، فإن كثيراً من الملحدين والمغترين بهم يمهلون في العلوم الطبيعية، ولكنهم يقفون معها، ويعمون عن ارتباطها بخالقها، فيرون أنفسهم قد عرفوا من عجائب علوم الطبيعة ما لم يعرفه غيرهم، ومن الأسرار التي أودعها الله في الطبائع ما زادوا به على غيرهم، فيأخذهم الزهو والغرور، ويرونها هي الحاصل والمقصود، وهي الغاية، فيحصل الانحراف والنقص في العلم والعقل.

٢/ العُجب والكبر من أعظم آفات العلم، ذلك أن العلم الصحيح هو العلم المؤيد بالعقل والنقل والفطرة، وهو العلم النافع الذي يعرفه العبد من جميع نواحيه، وهو العلم الذي يربط الفروع بأصولها، ويرد الأسباب وآثارها ونتائجها إلى مسببها، وهذا العلم هو الذي نحصل به الطمأنينة، وتتم به السعادة والفلاح، ويشمر الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة المصلحة للدين والدنيا^(٢).

ويشير السعدي - يرحمه الله تعالى - إلى هذه الآفة في قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح، فأكد على أهمية التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه بلطف، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذين لا يظهرون

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ١، ص ٤٧٠.

(٢) الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي، الثقافة الإسلامية، المجلد الأول، ص ٣٠١.

للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يدعون أنهم يتعاونون هم وإياه، بل ربما ظن أحدهم أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جداً؛ فالذل للمعلم وإظهار الحاجة إلى تعليمه من أنفع شيء للمتعلم، ومنها تواضع الفاضل للمتعلم، ممن دونه؛ فإن موسى بلا شك أفضل من الخضر^(١).

٣/ كتمان العلم، فالذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ومن شابههم نبذوا عهد الله وميثاقه وراء ظهورهم، فلم يعبؤوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤاً على محارم الله، وتهاونوا بحقوقه تعالى، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك ثمناً قليلاً، وهو ما يحصل لهم - إن حصل - من بعض الرياسات والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، فخسروا ما فيه السعادة الأبدية والمصالح الدينية والدينية، برغبتهم عن أعظم المطالب وأجلها^(٢).

رابعاً : بيان العلم واجب التحصيل :

أشار الشيخ السعدي إلى مشكلة العلم، وغلط الناس في مسمى العلم الصحيح الذي ينبغي ويتعين طلبه، وأنهم انقسموا إلى قسمين :

القسم الأول: قول قصر العلم على بعض مسمى العلم الشرعي، المتعلق بإصلاح العقائد والأخلاق والعبادات، دون ما دل عليه الكتاب والسنة، من أن العلم يشمل علوم الشرع ووسائلها، وعلوم الكون، وأكد أن هذا قول طائفة ممن لم تتبصر بالشرعية تبصراً صحيحاً، ولكنهم الآن بدؤوا يتحللون من هذا الإطلاق، لما رأوا من المصالح العظيمة في علوم الكون، وحين تنبه كثير منهم لدلالات

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ٥، ص ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الجزء ١، ص ٤٧٠.

نصوص الدين عليه.

والقسم الثاني: من قصروا العلم على العلوم العصرية، التي هي بعض علوم الكون، وأكد أن هذا القول إنما نشأ من انحرافهم عن الدين وعلومه وأخلاقه، وهذا غلط عظيم؛ حيث جعلوا الوسائل هي المقاصد، وحيث نفوا من العلوم الصحيحة والحقائق النافعة ما لا تنسب إليه العلوم العصرية بوجه من الوجوه، غرهم في ذلك ما ترتب عليها من الصناعات والمخترعات، وهؤلاء هم المرأؤون بقوله تعالى: (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون) (فصلت: ٨٣). فهم فرحوا بعلومهم واستكبروا بها، واحتقروا علوم الرسل، حتى نزل بهم ما كانوا به يستهزئون من الحق، ونزل بهم العذاب^(١).

كما بين - يرحمه الله تعالى - مدلول العلم النافع ومسماه، وأنه ما دل عليه الكتاب والسنة، فهو كل علم أوصل إلى المطالب العالية، وأثمر الأمور النافعة، لا فرق بين ما تعلق بالدنيا أو بالآخرة، فكل ما هدى إلى السبيل ورفق العقائد والأخلاق والأعمال فهو من العلم. كما قسم العلوم إلى قسمين: علوم مقاصد وعلوم وسائل توصل إليها وتعين عليها، فالمقاصد هي العلوم المصلحة للأديان، والوسائل ما أعان عليها من علوم العربية بأنواعها، ومن علوم الكون التي ثمرتها معرفة الله ومعرفة وحدانيته، وكماله، ومعرفة صدق رسله، وثمرتها: الاستعانة بها على عبادة الله وشكره، وعلى قيام الدين؛ فإنه تعالى أخبر أنه سخر لنا هذا الكون، وأمرنا أن نتفكر فيه، ونستخرج منافع الدينية والدنيوية، والأمر بالشيء أمر به وأمر بما لا يتم إلا به، وذلك حث على معرفة علوم الكون التي يستخرج بها ما سخره الله

(١) الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧هـ، الثقافة الإسلامية، المجلد الأول،

لنا؛ لأن منافعها لا تحصل لنا عفواً من دون طلب وفكر وتجارب^(١).

خامساً : تصدره للتدريس :

لما بلغ الشيخ من العمر ثلاثة وعشرين سنة جلس للتدريس، وفي عام ألف وثلاثمائة وخمسين من الهجرة انتهت إليه المعرفة التامة ورئاسة العلم في القصيم. وكان رحمه الله كأنه قد أوقف نفسه على العلم والعلماء فله محاضرات ودروس يلقيها بالمدارس الحكومية مرة أو مرتين بالأسبوع، فيذهب الضحى ليلقي المحاضرات أو الدروس على التلاميذ، وكان لا يتقاضى راتباً مقابل هذه الدروس^(٢).

(١) الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٣٤٢.

(٢) مواقف من حياة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ١١.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

فقد جاءت هذه الورقة العلمية لتسليط الضوء على جهود الشيخ عبد الرحمن السعدي التربوية والتعليمية، وتضمنت أربعة مطالب، جاء المطلب الأول في المنطلقات الفكرية لجهود الشيخ السعدي، واشتمل على التصور الإسلامي عن الحياة في فكر الشيخ، والتصور الإسلامي عن الإنسان، والتصور الإسلامي عن الكون، كما جاء المطلب الثاني في طرق وأساليب التعليم في فكر الشيخ السعدي، وأهم الطرق التي استخدمها في تدريسه ومحاضراته وتعليمه، وجاء المطلب الثالث في مجالات التربية والتعليم لجهود الشيخ السعدي التربوية، وجاء المطلب الرابع في الجهود العلمية للتربية والتعليم عند الشيخ السعدي.

نتائج الورقة العلمية :

توصلت الورقة العلمية لمجموعة من النتائج منها:

- ١/ جاء التصور الإسلامي عن الحياة في فكر الشيخ السعدي مقررراً ومؤكداً المبادئ التي نادى بها علماء التربية. ومنها: أن علاقة الإنسان بالحياة تقوم على الابتلاء، واختبار أصوب الخلق وأخلصهم أعمالاً، ومنها أن الحياة ليست إلا معبراً للآخرة، فالواجب على من يعرف الله تعالى أن يدرك الغاية من خلقه، وأنها للعبادة وخلافة الله في أرضه.
- ٢/ جاء التصور الإسلامي عن الإنسان في فكر الشيخ السعدي مقررراً للمبادئ التي نادى بها علماء التربية، ومنها: أن الإنسان أفضل المخلوقات، وقد ميزه الله بالعقل، فاستحق تكريمه وتفضيله على سائر المخلوقات.

٣/ جاء التصور الإسلامي عن الكون في فكر الشيخ السعدي مقررًا للمبادئ التي نادى بها علماء التربية، ومنها: أن هناك علاقة ثابتة بين الأسباب ومسبباتها، يمكن للإنسان ملاحظتها في كثير من أحداث الكون.

٤/ من الطرق التربوية والأساليب التعليمية التي استخدمها الشيخ السعدي في تعليمه ودروسه ومواعظه وخطبه: طريقة المناقشة، والحوار، والمحاضرة والخطابة، وما يعرف هذه الأيام بالتعلم التعاوني، وغيرها.

٥/ أكد الشيخ السعدي على أن أنواع العلوم والمعارف التي تشملها التربية والتعليم إلى خمسة أنواع هي: العلوم الدنيوية، والعلوم الوثقى، والعلوم المنقولة أو المكتسبة، والمعرفة العقلية، والمعرفة الحسية.

٦/ تمثلت جهود الشيخ السعدي العلمية في التربية والتعليم في مجموعة من الجوانب، ومنها: بيان فضل العلم وأهله، والتأكيد على واجبات أهل العلم وحقوقهم، وبيان آفات العلم، وبيان العلم واجب التحصيل، وتصدره للتدريس.

توصيات الورقة العلمية :

١/ الدراسة المعمقة لآراء الشيخ السعدي التربوية، وتأثره بالآراء التربوية السابقة، وتأثيرها في من تبعه من العلماء، ومظاهر هذا التأثير والتأثير.

٢/ الدراسة المعمقة للتطبيقات التربوية للفكر التربوي عند الشيخ السعدي، من حيث الأهداف التربوية لفكره، وتطبيقات المنهج، وطرق التدريس، وآداب العالم والمتعلم.

قائمة المراجع:

- اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، لمحمد إسماعيل علي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩١ م.
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، لعبد الرحمن النحلوي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ.
- أصول التربية الإسلامية والقضايا المعاصرة، لصفاء محمد مجاهد، الرياض، دار النشر الدولي، ١٤٣١ م.
- التربية الإسلامية، لمحمد أحمد جاد صبح، بيروت، دار الجيل للنشر، ١٤١٣ هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧ هـ.
- دراسات في الثقافة الإسلامية، لأوصاف محمد عبده، الدمام، مكتبة المتنبّي، ١٤٢٨ هـ.
- الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخل في الدين الإسلامي، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧ هـ.
- الدين الصحيح يحل جميع المشاكل، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧ هـ، الثقافة الإسلامية، المجلد الأول.
- الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧ هـ.
- الفكر التربوي عند ابن تيمية، لماجد عرسان الكيلاني، المدينة المنورة، دار التراث للنشر، ١٤٠٧ هـ.

- الفكر التربوي: مدارسه واتجاهات تطوره، لمصطفى زيادة، ومحمد العجمي، وبدر العتيبي، وحنان الجهني، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ١٤٣٤هـ.
- فلسفة التربية الإسلامية، لعمر التومي الشيباني، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٨م.
- فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، لماجدة عرسان الكيلاني، مكة المكرمة- جدة، مكتبة المنارة- دار المنارة، ١٩٨٧م.
- الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، لتعيم حبيب جعيني، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، لمصطفى محمد متولي، الرياض: مكتبة الخريجي، ٢٠٠٤م.
- المناهج الدراسية: التحديات المعاصرة وفرص النجاح، لرفعت بهجات محمد، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.
- مواقف من حياة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي، لمساعد عبد الله السعدي، ط ٢، الرياض: دار الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ.
- المنهج المدرسي المعاصر، لجودة أحمد سعادة، وعبد الله محمد إبراهيم، عمان، دار الفكر ناشرون، ٢٠١٤م.